السفور والحجاب في الشعر المصري الحديث

الدكتور/حمدى عبد المجيد عبد الرحيم
المدرس بقسم الادب والنقد
بكلية اللغة العربية جامعة الازهر بأسيوط

السفور من سفر يقال : « سفرت المرأة كشفت عن وجهها ، فهى سافر .... وسفر خرج الى السفر »(١) .

« والحجاب : الستر »(٢) فالكلمتان أعنى السفور والحجاب تدوران حول الحركة والسكون أو ستر بعض بدن المرأة أو كشفه ، حينما نتناول السفور والحجاب نتناوله قاصدين به الفتاة من هذه الجوانب وكان موضوع السفور والحجاب من الموضوعات الحافلة بالخلاف بين أصحاب الرأى من المفكرين الشعراء فهناك من يؤيد السفور ، ويرى أنه يحرر المرأة من قيدها متأثرا فى ذلك بأفكار .

وهناك من يؤيد الحجاب ، ويرى أن فيه محافظة على المرأة ، وصيانة لها ، ولدينها ولاولادها . والناظر فى هذا الموضوع يلحظ أنه

---

(١) مختار الصحاح ص ٣٠١ .
(٢) مختار الصحاح ص ١٢٢ .

وكثرت الاقوال حول سفور المرأة وحجابها ، وكانت النظرة نابعة من اتجاه الفرد فى تفسير بعض النصـــوص الدينية من القرآن الكريم متعلق بالدين والذى لا ينكره أحد أن الدين له تأثير قوى فى نفوس المسلمين خاصة الملتزمين بتعاليمه •
أو السنة النبوية المطهرة ، وقامت ضجة عنيفة فى مواجهة دعوة قاسم أمين الى تحرير المرأة فى كتابه « تحرير المرأة » الذى ألفه عام ١٨٨٩م• وكانت هــذه الدعوة هى الشرارة التى أطلقت الخــلاف بين أصحاب الفكــر •

ومن يطالع كتاب تحرير المرأه يجد المؤلف تناول فيه الحجاب وعده أصلا من أصول الادب ، وطالب بأن يكون منطبقا على ما جاء فى الشريعة الاسلامية ويرى « أن الشريعة الاسلامية ليس فيها نص يوجب الحجاب وانما هى فى زعمــه عــادة عرضــت لهم من مخالطــة بعض الامم ، فاستحسنوها ، وأخذوا بها وألبوسها لباس الدين والدين منها براء »(٣) ويذكر بعد ذلك قــول الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظــوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بمــا يصــنعون ٣ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آبــاء بعولتهن أو أبنائهن أو أبنــاء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نســائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غــير أولى الاربة من الرجــال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفاحون »(٤) •

---

(٣) تحرير المرأة • قاسم أمين ص ٥٩ •
(٤) سورة النور ٣٠ ، ٣١ •

ويعلق قاسم أمين على قـول الله تعالى السابق فيقول « أباحت الشريعة فى هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسـمها أمام الاجنبى عنها غير أنها لم تسم تلك المواضع ، وقد قال العلماء : انهـا وكلت فهمها وتعيينها الى ما كان معروفا فى العـادة وقت الخطـاب ، واتفق الائمة على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء فى الآيـة ، ووقع الخلاف بينهم فى أعضاء أخرى كالذراعين والقدمين »(٥) .

هذا بالنسبة الى الحجاب من جهة ستر البدن أما الحجاب بمعنى سكون المرأة فى بيتها ، وعدم الاختلاط بالرجال فقد رأى قاسـم أمين أن الحجاب بهذا المعنى مقصور على نساء النبى — ﷺ — مستندا الى قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعـام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى منكم والله لا يسـتحى من الحـق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب(٦) ... الخ »

وقوله تعالى : « يا نساء النبى لستن كأحد من النسـاء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقـول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا ، وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ... الخ »(٧) .

ويفسر هاتين الآيتين قائلا : لا يوجد اختلاف فى جميع كتب الفقه فى أى مذهب كان ، ولا فى كتب التفسير فى أن هذه النصوص الشريفه

---

(٥) تحرير المرأة . قاسم أمين ص ٥٧ .

(٦) سورة الأحزاب ٥٣ .

(٧) سورة الأحزاب ٣٢ ، ٣٣ .

خاصة بنساء النبى ــ ﷺ ــ أمرهن الله سبحانه وتعالى بالتحجب وبين لنا سبب هذا الحكم وهن أنهن لسن كأحد من النساء • ولما كان الخطاب خاصا بنساء الرسول ــ ﷺ ــ فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد من نساء المسلمين أما نساء المسلمين عامة فهن منهيات فقط عن الخلوة بالاجنبى(٨) •

وعن اشتغال المرأة بالشئون العامة فانه يقدم أمثلة من التاريخ مشيرا الى وجود عدد غير قليل من النساء كان لهن أثر فى مصالح المسلمين العامة(٩) •

هذا جزء مختصر جدا مما جاء فى كتاب تحرير المرأة الذى أثار معركة فكرية بين أصحاب الرأى حول قضية السفور والحجاب ولقد انقسم المفكرون ازاء هذه القضية لما لها من أهمية كبرى وكانت الصحف فى ذلك الوقت تنشر على القراء آراء الفريقين خاصة المنار والمؤيد واللواء كما ظهرت بعض الكتب التى تولت الرد على قاسم أمين ومن أهمها كتاب تربية المرأة والحجاب لمحمد طلعت الذى فند فيه أدلة قاسم أمين »(١٠) ، ووضح رأى الاسلام فى هذه القضية جاء فيه « ان فى الشريعة الاسلامية نصوصا تقضى بالحجاب الشرعى ونعنى به ستر البدن بأكمله ، وملازمة المرأة خدرها الا لضرورة ، ثم يعلق على قول الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ••• الخ » التى سبق أن ذكرتها يعلق بقوله : هذه آية جمعت ، فأوعت اذ أمرت الرجل والمرأة معا بغض النظر وحفظ العرض وأمرت النساء زيادة على ذلك بأن

---

(٨) راجع تحرير المرأة : قاسم أمين ص ٦٥ •

(٩) تحرير المرأة • قاسم أمين ص ١١١ •

(١٠) الاتجاه الاسلامى فى الشعر المصرى المحافظ د/ نبيل سليمان طبوشة ص ١٢٤ •

لا يبدين زينتهن الا ما ظهر من الزينة وليس كما قال صاحب تحرير المرأة أن الشريعة أباحت فى هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها أمام الاجنبى • والمعنى ظاهر لا يحتاج لهذا التعسف وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن الزينة الظاهرة فقالت : هى الكحل والخضاب » ••• ولم يختلف أحد من الصحابة فى أن المراد من قوله تعالى : « الا ما ظهر منها » ليس هو الا الزينة لا المرأة بدليل أنهم لم يسألوا عائشة الا عن الزينة الظاهرة(١١) •

ويمكننى الرد على قاسم فى تفسير قوله تعالى « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء •• » بأن هذه الآية ليست موجهة الى نساء النبى فحسب بل انها موجهة لنساء المسلمين عامة فهن مكلفات بتنفيذ ما فيها ، لان العبرة بعموم الحكم لا بالخصوص • « أما قوله « لستن كأحد من النساء » يعنى فيكن أمر لا يوجد فى غيركن وهو كونكن أمهات المؤمنين وزوجات خير المرسلين ، وكما أن محمدا عليه السلام كذلك فقرائنه اللاتى يشرفن به فيهن مزية وبين الزوجين نوع من الكفاءة»(١٢)

وكثيرا ذكرت آيات من القرآن الكريم يخاطب فيها رب العزة محمدا ﷺ بقوله : يا أيها النبى أو يا أيها الرسول • وهو فى خطابه لرسوله يريد جميع المسلمين لان الرسول قدوتهم فكذلك نساء الرسول قدوة لنساء المسلمين جميعا واذا لم ينطبق على نساء المسلمين ما ينطبق على نساء رسول الله ﷺ فهل من المباح لنساء المسلمين أن يخضعن بالقول أو أن يتبرجن تبرج الجاهلية ؟ •

---

(١١) تربية المرأة والحجاب • محمد طلعت حرب ص ٧٠ •

(١٢) التفسير الكبير للامام الفخر الرازى ج ٢٥ ص ٢٠٨ •

أما عمل المرأة وخروجها للمشاركة فى الحياة العامة فيمكن لها أن تقوم بعمل خارج المنزل عند الحاجة أو الضرورة والضرورة تقدر بقدرها وهى تبيح الخطورة ولعل فى قصة موسى عليه السلام مع الفتاتين اللتين كانتا تريدان أن تسقيا الغنم دليلا على ما أقول لانهما ذهبتا لرعى الغنم وسقيها طلبا للرزق بسبب كبر سن والديهما استمع الى قول الله تعالى وهو يحكى الحوار الذى دار بين موسى عليه السلام والفتاتين يقول الله تعالى : « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال فما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير • فسقى لهما ••• »(١٣)•

ويفهم من هذه الآيات أن الذى اضطر الفتاتين للخروج انما هو — كبر سن والديهما فالذى جعل الفتاتين تقومان بهذا العمل خارج المنزل هو عدم وجود من يعولهما فعندئذ قامتا بالعمل للضرورة أما من وجدت من يعولها فلا داعى من أن تزاحم الرجال فى ميادين الرجال وأن تقوم بما ليس لها من أعمال • وعملها فى منزلها لتربية الأولاد ليس بالشىء اليسير ، ويكفى أن تقوم بهذه المهمة الشاقة والعسيرة ، وأثبت لنا واقع الحياة أن المرأة التى تخرج الى عمل خارج المنزل ، وتترك أطفالها مع مربيات ، أو فى حضانات أن ذلك يترتب عليه آثار سيئة على الاطفال فى حياتهم الحاليه والمستقبلية منها فقدان الحنان وغير ذلك مما لا يلزمنا حصره هنا لاننا بصدد دراسة شعرية • المهم أن الشعراء فى مصر لم يقفوا أمام هذه القضية مكتوفى الايدى ، بل شاركوا فيها ، وعبروا عن أفكارهم ، وكانوا بين مؤيد ومعارض وبمراجعة دواوين شعراء مصر فى العصر الحديث أمكننى التعريف على الاتجاهات المختلفة فى هذه

---

(١٣) سورة القصص ٢٣ ، ٢٤ •

المضمار • فالمؤيدون لقاسم أمين فى دعوته يرون أن سفور المرأة لا عيب فيه ، ويقدمون الادلة على رأيهم • المعارضون يرون أنه مخالف لتعاليم الاسلام ، ويدعمون رأيهم بالحجج والبراهين ونلمس ذلك بوضوح من خلال ما نعرضه من أشعار فى هذا الموضوع •

فهذا حافظ ابراهيم يؤيد قاسم أمين ، ويدافع عن فكره ، ويبالغ فى تأييده له بل انه يرمى معارضيه بالتزمت الخالص فيقول :

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه

الى اليوم لم يرفع حجاب خلالهم
فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم
اوضع نقاب لاستقامت رغائبه

واو خطرت فى مصر حواء أمنا
يلوح محياها لنا ونراقبه

وفى يدها العذراء يسفر وجهها
تصافح منا من ترى وتخاطبه

وخلفها موسى وعيسى وأحمد
وجيش من الاملاك ماجت كواكبه

وقالوا لنا رفع النقاب محلل
لقلنا نعم حق ، ولكن نخالفه(١٤)

---

(١٤) ديوان حافظ ج ١ ص ٨٢ •

فحافظ هنا يسخر من الذين يعارضون قاسم أمين ، لانهم فى نظره يرفضون الصحيح حتى لو جاءهم الانبياء والملائكة لخالفوهم مع علمهم بأن ما جاء به هؤلاء حق وصدق • ومن العجب أن حافظ ابراهيم الذى سخر من معارضى قاسم أمين لم يكن قرأ ما كتبه قاسم أمين فى كتابه تحرير المرأة ، فكيف يحكم على شىء لم يقرأه ولم يطلع عليه ؟ ، وكيف يسرف فى اطرائه وتمجيده ؟ وهو لم ينظر الى ما سجله فى كتابه ، ولكى يتضح الامر بصورة أجلى نورد تعقيب شارح ديوان حافظ ابراهيم وهو الاستاذ محمد ابراهيم هلال حيث يقول : « ولقد سألناه (حافظا) يوما عما رآه فى هذا المشروع من الصواب ، وما به من ضروب النفع للأمة فأجابنا أنه لم يقرأ من كتابى حضرة قاسم أمين سطرا واحدا ولكنه رأى كل أبناء البلاد تعارض هذا الرأى وتستهجنه وكان يعلم أن مواطنيه لا يمارون الا فى الحق ولا يرضون غير الباطل ، وثق أن ما جاء فى كتابى (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) حق لا ريب فيه »(١٥) وهذا الكلام يلام عليه حافظ ابراهيم ، لانه وثق فى قاسم أمين ثقة مطلقة وكأنه نبى من الأنبياء اذا قال صدق ورأيه يؤخذ به دون معارضة•

ويبدو أن حافظ ابراهيم راجع نفسه ، وخشى أن يفسر كلامه السابق على أنه يدعو الى السفور دعوة مطلقة فعدل عما قال وأخذ يوضح رأيه من جديد بقوله :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن فى الاسواق(١٦)

---

(١٥) راجع هامش ديوان حافظ ابراهيم جـ ١ ص ٨٧ ط الاصلاح •
(١٦) السوافر : المنكشفات الوجوه •

يدرجـــن حيـــث أردن لا من وازع
يحذرن رقبتـــه ولا من واقى(١٧)
يفعـــلن أفعـــال الرجـــال لواهيـــا
عن واجبـــات نواعس الاحداق(١٨)
فى دورهـــن شـــئونهن كثـــيرة
كشئون رب الســـيف والمزراق(١٩)
كـــلا ولا أدعـــوكم أن تســـرفـــوا
فى الحجب والتضـــييق والارهـــاق
ليســـت نســـاؤكم حلى وجـــواهرا
خوف الضـــياع تصـــان فى الاحقاق
ليســـت نســـاؤكم أثاثـــا يقتنـــى
فى الدور بين مخـــادع وطياق(٢٠)
فتوســـطوا فى الحـــالتين وأنصفوا
فالشر فى التقييـــد والاطـــلاق(٢١)

وحافظ هنـــا يدعو الى التوسط ولكن رأيه فى التوسط مبهم حتى اننا لا نعرف حدود هـــذا التوسط هل تخرج المرأة نصـــف سافرة ؟

---

(١٧) يدرجن : يمشين ، والوازع : الزاجر ، والرقبة : المراقبة .
(١٨) نواعس الأحـــداق : فاترات الأجفـــان . يريد انصرافهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .
(١٩) المزراق : الرمح : يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .
(٢٠) المخادع : الغرف .
(٢١) ديوان حافظ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

أو تتحجب نصف متحجبة ؟ • المهم أن حافظ ابراهيم متردد في موقفه ازاء هذه القضية فمرة يؤيد قاسم أمين ، ومرة يدعو الى التوسط فهو لم يثبت على موقف واحد ، ولم يتخذ رأيا حاسما قاطعا •

وأحمد شوقى يؤيد قاسم أمين ، ويرى التيسير فى الحجاب وعدم التشديد والاخذ بالاعتدال ولكنه كان متحفظا ، ولم يبد رأيه بصراحة ونلحظ ذلك من خلال رثائه قاسم أمين حيث يقول :

ماذا رأيت فى الحجاب وعسره
فدعوتنا لترفق ويسار ؟
رأى بدا لك لم تجده مخالفا
ما فى الكتاب وسنة المختار
والباسلان شجاع قلب فى الوغى
وشجاع رأى فى وغى الافكار(٢٢)
أوددت لو صارت نساء النيل ما
كانت نساء قضاعة ونزار ؟(٢٣)
يجمعن فى سلم الحياة وحربها
بأس الرجال وخشية الابكار
ان الحجاب سماحة ويسارة
لولا وحوش فى الرجال ضوارى(٢٤)
جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه الى أذى وضرار(٢٥)

---

(٢٢) الوغى : الحرب •
(٢٣) قضاعة ونزار : قبيلتان عربيتان •
(٢٤) ضوار : جمع ضار وهو المفترس •
(٢٥) ديوان شوقى ج ٢ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ط نهضة مصر •

وفى قصيدة أخرى يلجأ أحمد شقى الى الرمز ، ولا يقوى على التصريح خشية أن يغضب منه المعارضون وهذه القصيدة تحت عنوان « ملك الكنار » • ويدير الحديث فيها على طائر جميل داخل قفص كأنه أسير وهو يبغى الحرية والطير فى الفضاء الواسع ، والشاعر يقصد بالطائر الاسير المرأة المصرية وبالاسر فى القفص الحجاب ومطلع القصيدة :

صداح يا ملك الكنا ر ويا أمير البلبل(٢٦)

وبعد أن يتحدث عن وصف الطائر ينتقل الى الحديث عن حالته النفسية وهو مقيد مغلول محبوس داخل القفص يشبه الاسير فيقول :

يا ليت شعرى يا أسير
شج فؤادك أم خل ؟(٢٧)
وحليف سهد أم تنا
م الليل حتى ينجلى ؟(٢٨)
بالرغم منى ما تعا
لج فى النحاس المقفل(٢٩)

وبعد ذلك يشير الى أن النعيم داخل القفص الجحيم والقيد لو كان

---

(٢٦) صداح : الصداح المرتفع الصوت بالصياح ، والكنار : طائر من فصيلة العصافير •

(٢٧) شج : مشغول مهموم ، وخل : خال من الهم •

(٢٨) سهد : أرق ، وينجلى : يمضى •

(٢٩) تعالج : تمارس وتزاول ، والنماس المقفل : القفص الذى حبس فيه الطائر •

من أغلى الجواهر نفس لا يحتمل فالحياة داخله لا تنسفوا ، وطعم الحياة داخله مر مثل الحنظل :

شهد الحياة مشوبة
بالرق مثل الحنظل
والقيد لو كان الجما
ن منظما لا يحمل(٣٠)

ولاحمد شوقى قصيدة رمزية أيضا ألقاها فى الحفلة النسائية بدار التمثيل العربى ، وتكاد تتفق مع قصيدته السابقة فى الاتجاه نحو الميل الى سفور المرأة جاء فيها :

قل للرجال طغى الاسير
طير الجحال متى يطير؟(٣١)
أوهى جناحيه الحديـ
ـد وحز ساقيه الحرير(٣٢)
ذهب الحجاب بصبره
وأطال حيرته السفور
والسجن فى الاكواخ أو
سجن يقال له القصور

---

(٣٠) ديوان شوقى جـ ١ ص ١٣٥ . الجمان : اللؤلؤ .
(٣١) طغى جاوز الحد المقبول أو غلا فى العصيان ، والجحال : جمع جحلة وهى ساتر كالقبة يزين للعروس .
(٣٢) أوهى : أضعف .

ان السـماء جـديـرة
بالطـير وهـو بهـا جدير

هى سرجه المشـدود وهـ
ـو على أعنتها أمـير(٣٣)
سـريـة خـلق الانـا
ث لها كما خلق الذكور(٣٤)

هذا هو رأى الشاعر الكبير أحمد شوقى فى عجالة سريعة لمست من خلال أبياته السابقة موافقته للسفور ولكنه لم يعلنه بصراحة • ويعد من المؤيدين لقاسم أمين فى دعوته الى سفور المرأة •

أما المعارضون فكانوا يذهبون الى أن الحجاب يصـون المـرأة ، ويحفظ لها كرامتها ، ويجنبها الاذى •

من الشعراء المعاصرين المؤيدين لحجاب المرأة محمد عبد المطلب الذى يرى أن الحجاب لا يعوق التقدم ، ولا يمنع العلم والمعرفة استمع اليـه وهو يقول :

ظلموا النيل يوم عدوا بنات النيـل
جهـلا فى زمـرة الجـاهـلات
زعمـوهن بالحجـاب عـن العـلم
ونـور العـرفـان محتجبـات
وهـى فى أفقهـا ضـياء ونـور
سـاطع فى بدورهـا النيرات(٣٥)

---

(٣٣) أعنتها : الأعنة جمع عنان وهى سير اللجام •
(٣٤) ديوان شوقى جـ ٢ ص ٤٧ ، ٤٨ •
(٣٥) ديوان عبد المطلب ص ٣٣ •

وفى قصيدة أخرى يرفض المغالاة فى تقليد الاجانب ، وينكر على المرأة المسلمة سفورها ، ويدعوها الى الحجاب ، ويعرض بقاسم أمين صاحب الدعوة الى السفور يقول محمد عبد المطلب :

يـــا هـــل ترى ذاك الغيـــو
ر بمـــا جـــرى ويح الجهـــول

أهـــى التى فـــرض الحجـــا
ب لصـــونها شرع الرســـــول

جعـــل الحجـــاب معاذهـــا
من ذلـــك الـــداء الوبيـــــل

يـــا منـــزل القـــرآن نـــو
را للبصـــائر والعقـــــول

عميـــت بصـــــائر أهـــــل وا
دى النيل عن وضح السبيل(٣٦)

وأحمـــد محرم كان موقفـــه صريحا جريئا كعادتـــه ، وتلحظ تلك الصراحة فى معارضته القوية ، وتخطئته قاسم أمين حينما نقرأ ما كتبه فى الرد عليه ، وتراه يحذر الفتاة من الاصغاء الى ما يقول ، أو الاغترار بحسن منطقه أو الانخداع بوهمه ، ويرى أن فى السير فى ركاب هذه الدعوة انهيار للاخلاق فى الشرق كله ، ويحذر قاسما من التمادى فى دعوته حتى لا يصيب قومه بشر كبير ، ويبين أن الاســـلام قد وضـــع حدودا لآداب المرأة ينبغى ألا تخرج عليها ، وينشد قصيدة كبرى فى الحجاب يقول فيها :

---

(٣٦) ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ .

أغـرك يا أسـماء ما ظن قاسـم
أقيمى وراء الحـذر فالمـرء واهـم

ذكـرتك انى ان تجـلت غيـابتى
على ما نمى من ذكرك اليـوم نادم

تضيقين ذرعـا بالحجـاب وما به
سوى ما جنت تلك الرؤى والمزاعم

سلام على الاسلام فى الشرق كله
اذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم

أقاسـم لا تقذف بجيشـك تبتغى
بقـومك والاسـلام ما الله عـالم

انـا من بنـاء الاولين بقيـة
تلوذ بهـا أعراضـنا والمحارم(٣٧)

وفى قصيدة أخرى يعارض أحمد محرم هذه الدعوة معارضة قوية مستدلا بأن الطبيعة الانسانية لا تقوى على كبح جماح الهوى ، ولو كان هناك شعب من الملائكة لجاز لنا أن نقبل دعوة قاسم أمين دون أن يقف أحد فى طريقها ، ولكان قاسم محقا ولكنه جانبه الصواب وخانه الرأى استمع الى محرم وهو يقول :

اذا رأى الرأى لم تنكص عزيمته
خوف الملام ولم يقعد به اللدد

رمى الحجـاب فلولا الله يمسـكه
لانشق أو طار أو خرت به العمـد

---

(٣٧) ديوان محرم ج ٢ ص ٦٢ .

لتلك خطة سوء لست أحمدها
منه وان رضى الجهال أو حمدوا

كيف السلامة والاخلاق واهية
والجهل منتشر والشر منتقد ؟

انا نعيش بواد غير مؤتمن
تنزو القلوب به ذعرا وترتعد

تعدو الذئاب به والويل ان غفلت
عين الربيئة أو أغفى به الرصد

لو كان من قومنا شعب ملائكة
قلنا أصبت فلا لوم ولا حرد

لم يبغ حين رمى شرا بأمته
وانما خانه رأى ومعتقد(٣٨)

ولعله يتضح بعد هذا العرض لبعض نماذج من شعراء مصر في العصر الحديث في قضية السفور والحجاب أن المؤيدين سفور المرأة ينتابهم شيء من التردد في تأييدهم خاصة حافظ ابراهيم الذي يؤيد السفور ، ثم يعود ، فيدعو الى التوسط ، ويخشى أن يتهم بالدعوة الى السفور المطلق ، وأحمد شوقي يلجأ الى الرمز حتى لا يغضب منه المؤيدون الحجاب فحديثه عن السفور حديث غير مباشر أو مستور ، ونلحظ ذلك حينما يتحدث عن الطيور المحبوسة وهي يقصد المرأة المصرية التي يود لها الخلاص كما ذكرت آنفا .

---

(٣٨) ديوان محرم جـ ٢ ص ٦٤ .

أما المؤيدون للحجاب فكانت دعوتهم صريحة واضحة جريئة لا تردد فيها ، ولا غموض ، ولا التواء على نحو ما وجدناه عند عبد المطلب ومحرم وكانت نظرتهم الى الحجاب نظرة دينية فالحجاب يصون المرأة وهو الذى أمر به شرع الرسول ﷺ خاصة ونحن فى زمن أصبح فيه كثير من الرجال كالذئاب واتهم أصحاب الدعوة الى الحجاب قاسم أمين بالجهل مرة فى قول محمد عبد المطلب :

يا هل درى ذاك الفيتو ر بما جرى ؟ ويح الجهول(٣٩)

وتساءل أحمد محرم هل قاسم أمين من البانين للأمة الاسلامية أو هو من الهادين ؟ :

اسائل نفسى اذ دلفت تريدها
أأنت من البانين أم أنت هادم(٤٠)

وأنا أميل : الى الرأى الذى يفضل الحجاب على السفور ، ويعجبنى رأى ملك حفنى التى عبرت بكل صدق عما يدور بخاطرها حيث فضلت بقاء الفتاة فى المنزل لتربية الاولاد ، ولا تخرج الا اذا دعتها الضرورة فتقول ملك :

مجد الفتاة مقامها فى البيت لا فى العمل
والمرء يعمل فى الحقول وعرسه فى المنزل
من للوليد يعينه فى لبسه والمأكل
ويميط عنه أذى الهوى بتلطف وتجمل(٤١)

---

(٣٩) ديوان عبد المطلب ص ١٨٤ .
(٤٠) ديوان محرم ج ص ٦٢ .
(٤١) آثار باحثة البادية ص ٢٩٩ .

وهذه حقيقة ان ذهاب المرأة للعمل خارج المنزل يترتب عليه التقصير في حقوق الاطفال الصغار ، ولذلك تستفهم الشاعرة في انكار من للوليد يعينه في لبسه وأكله ؟ ومن الذي يميط عنه الاذى بتلطف وحنان ؟ وربما تكون الاجابة هناك الكثير من الحضانات والمربيات التي تقوم بتلك المهمة ونرد قائلين : انه لا يوجد أفضل ولا أحسن من حنان الام وتربيتها •

أما اذا دعت الضرورة الى خروجها فلا مانع تقول ملك :

لكن اذا دعت الضرورة للخروج فحيهل(٤٢)

والضرورة كأن تحتاج الدولة الى تخصص نادر لامراض النساء مثلا حتى لا يطلع الرجال على عورات النساء أو أن تكون المرأة في حاجة ولا تجد من يعولها •

هذا عن سفور المرأة وعملها خارج منزلها •

بقي أن نتحدث عن تعليم الفتاة • الواقع أن تعليم الفتاة لم يختلف عليه اثنان ، فقد اتفق جميع المفكرين والشعراء على ضرورة تعليم الفتاة سواء في ذلك من دعا الى السفور ، أو طالب بالحجاب ، وذلك لان في تعليمها فائدة كبرى تعود على المجتمع بأثره فهي تقوم على تنشئة الاطفال الذين يعدون اللبنة الاولى في المجتمع •

فعبد الحليم المصري يرى أن الحجاب لا يمنع من تحصيل العلم ، وأن المرأة يمكنها أن تتعلم وهي في خدرها ، ولا يعوقها الحجاب عن المعرفة ، ويرد على من يظن أن الحجاب دون ذلك فيقول :

جعل الحجاب على الجهالة عذرها
أكذا الحجاب على الذكاء بلاء ؟

---

(٤٢) آثار باحثة البادية ص ٢٩٩ •

ما خبرهـا لو علمـت فى خدرهـا
كـم فى الخـدور مواهب وذكـاء
والامهـات اذا تعلمـت اهتـدت
أبنـاؤها وارتاحـت الآبـاء(٤٣)

ومحمـد عبد المطلب يرى رأيا قريبا من رأى عبد الحليم المصرى فى تعليم الفتاة فيقول :

ظلموا النيـل يوم عدوا بنات النيل
جهـلا فى زمـرة الجـاهـلات
زعمـوهن بالحجـاب عـن العلـ
م ونور العرفـان محتجبـات(٤٤)

وحافظ ابراهيم يهتم بتعليم الفتاة واعدادها الاعداد الجيد ليتحقق بتعليمها اعداد الشعب القوى فيقول :

الأم مدرسـة اذا أعـددتهـا
أعـددت شـعبا طيـب الاعـراق
الام روض ان تعهـده الحيـا
بالـرى أورق أيمـا ايـراق
الام أسـتاذ الاسـاتذة الاولـى
شـغلت مآثرهم مدى الافـاق(٤٥)

---

(٤٣) ديوان المصرى جـ ٢ ص ٢٢ .
(٤٤) ديوان عبد المطلب ص ٣٣ .
(٤٥) ديوان حافظ ص ٢٨٢ .

وأحمد محرم يؤكد على تعليم الفتاة ، ويبين أن تعليمها أمر ضرورى والام المتعلمة تدفع أبناءها الى المجد والكرامة أما الجهل فهو الموت والهلاك يقول محرم :

أتعرف شعبا لم تلده عليمة
مهذبة فاستن فى سنة سؤدد

اذا نحن علمنا البنات سمت بنا
الى سورة من المجد من يفترعها يمجد(٤٦)

والام هى الاساس التى يقوم عليه الاصلاح • فالام اما أن تكون رحمة وهدى • واما أن تكون نكبة على شعبها ، والذى يظن أن العلم يفسد البنت فهول جاهل ولكن على النقيض من ذلك فالفتاة الجاهلة تفسد أسرا بسبب جهلها استمع الى محرم وهو يقول :

لا تيأسوا وأعدوا لام صالحة
فهى السبيل الى اصلاح ما فسدا

الام للشعب اما رحمة وهدى
أو نكبة ما لها من دافع أبدا

وجاهل ظن أن العلم مفسدة
للبنت فانتقص التعليم وانتقدا

مهلا فرب فتاة أهلكت أسرا
بجهلها وعجوزا أفسدت بلدا(٤٧)

والامهات اما أن يعملن على تقدم البلاد ، واما أن يعملن على تأخرها وهن اما هادمات أو بانيات على حد قول محرم :

---

(٤٦) ديوان محرم ج ٢ ص ١٠٢ •
(٤٧) ديوان محرم ج ٢ ص ١٥٠ •

رأيـــت الامهـــات لكـــل شـــيء
يكـــون لدى المـــالك محـــدثات

دعـــاة الشر والاصـــلاح منهـــا
ورســـل المـــوت فيها والحيـــاة

فهـــن يكـــن امـــا بانيـــات
اذا نهضـــت واما هادمات(٤٨)

بعد هذا العرض لشعراء مصر المتعلق بموضوع السفور والحجاب يتضح أن هؤلاء الشعراء اتفقوا جميعا على تعليم الفتاة لمـــا فى تعليمها من خير كبير للأمة فبتعليمها تستطيع أن تربى أجيالا صـــالحه لتكوين أمة رفيعة المستوى متقدمة متحضرة ولكنهم على الرغم من ذلك اختلفوا فى سفورها فمنهم من أيد السفور ومنهم من رفضه .

ولقد اتســـم شعر هؤلاء الشعراء بالتوضيح ، وســـوق الادلة ، والبراهين على صحة رأى كل فرد فى وجهة نظره تجاه ما يراه وذلك بهدف اقناع المتلقى والتأثير فيه وتوصل فكره الى مستمعيه أو قارئيه ومن أفضل ما قيل فى هذا الجانب ما ورد على لسان ملك حفنى :

مجـــد الفتـــاة مقـــامها　　فى البيت لا فى العمل
والمرء يعمل فى الحقول　　وعرســـه فـــى المنـــزل
مـــن للوليـــد يعينـــه　　فـــى لبســـه والمـــأكل
ويميط عنـــه أذى الهوى　　بتلطـــف وتحمـــل(٤٩)

---

(٤٨) ديوان محرم جـ ٢ ص ١٤٥ .
(٤٩) آثار باحثة البادية ص ٢٩٩ .

فالشاعرة هنا تميل الى الحجاب ، وتؤيده معربة عن وجهة نظرها ومن أجل توضيح هذه الوجهة عددت مهمة المرأة فى البيت مستفهمة عن حال الطفل فى لبسه ، ومأكله وحياته العامة اذا لم تهتم به الام واذا أهملته بغيابها عن المنزل ، وذهابها الى العمل خارجه •

ويقدم أحمد محرم لنا الدليل على تأييده للحجاب وذلك بالاشارة الى أن المجتمع فيه ذئاب من البشر وليس الناس ملائكة فيقول :

انا نعيش بواد غير مؤتمن
تنزو القلوب به ذعرا وترتعد

تعدو الذئاب به والويل ان غفلت
عين الربيئة أو أغفى به الرصد

لو كان فى قومنا شعب ملائكة
قلنا أصبت فلا لوم ولا حرد(٥٠)

وشوقى يستند الى الكتاب والحديث وسير السلف الصالح فى الاحتجاج وسوق الدليل فى ضرورة تعليم الفتاة فيقول :

خذ بالكتاب وبالحديـ
ـث وسيرة السلف الثقات

وارجع الى سنن الخليـ
ـفة واتبع نظم الحياة

هذا رسول الله لم
ينقص حقوق المؤمنات

---

(٥٠) ديوان محرم جـ ٢ ص ٦٤ • يخاطب أحمد محرم فى ذلك قاسم أمين •

العلم كان شريعة
لنسائه المتفقهات(٥١)

كذلك اتسم شعر الذين تناولوا موضوع السفور والحجاب من الشعراء المصريين فى العصر الحديث اتسم بالسهولة فى عباراته وألفاظه لان الشاعر هنا يريد أن يلفت النظر الى فكرته وبالتالى فهو يحتاج الى السهولة لاقناع القارىء أو السامع ، لانه يخاطب خاصة الناس وعامتهم ، ولن يكون ذلك ولن يستطيع أن يحقق هدفه بالغموض والابهام والتعمية .

بالجملة فان الشعر المصرى الحديث شارك فى قضية السفور والحجاب التى أثارت المفكرين ، وأن الآراء تضاربت بين مؤيدين للسفور ومعارضين له ولكن كانت دعوة المعارضين أقوى ومع ذلك فقد اتفق جميع الشعراء فى تلك الحقبة من الزمن على تعليم الفتاة مما يترتب على تعليمها الخير الوفير للشعب وبذلك يكون الشعر قد ساهم فى قضية من أهم القضايا الاجتماعية ، وعمل على انارة الوعى لدى المجتمع .

الدكتور / حمدى عبد المجيد عبد الرحيم
مدرس الادب والنقد
بكلية اللغة العربية بأسيوط

---

(٥١) ديوان شوقى جـ ٢ ص ٢٤ ، ٢٥ .